

## النقض العقلي لعقيدة الشيعة

يحرص كثير من علماء آخر الزمان على نفي وجود خلاف بين السنة وبين الشيعة، ويستند بعضهم على فتوى الشيخ شلتوت التي يقول فيها يجوز التعبد على مذهب الإمامية الجعفرية، وشتان بين منطوق الفتوى المحدد بالعبادة، وبين حقيقة الخلاف بين السنة والشيعة في العقيدة، وهذا تدليس متعمد لا يليق بمقام العلماء، والمقام لا يسعنا أن نبين مفردات هذا الاختلاف العقدي العريض والعميق، فمن السهل مجادلة أهل الكتاب، ومن الصعب جدا مجادلة الشيعة، فهم لا يقبلون أحاديثنا بتكفيرهم للصحابة، ونحن لا نقبل مئات آلاف من الأحاديث التي وضعها غلاة الشيعة في شأن الأئمة، كما أن عندهم مبدأ التقيّة، الذي يسمح لهم بتعمد الكذب بل وموافقة الخصم عند الاختلاف، ومن أراد أن يفهم طبيعة الخلاف فليقرأ كتابنا عن جذور الشيعة وجيش المهدي، وهو من أهم الكتب التي تبين عقيدة الشيعة، وفي نفس الوقت يظهر حقيقة ما يدور على أرض الرافدين، ولنتناول بصورة مجملّة عقيدة الإمامية حول الإمامة الذي هو الركن السادس في عقيدة القوم،

يومن الشيعة الإمامية الإثني عشرية بأن هذه الرسالة جاء بها نبي، ولا بد له من وصي يسمونه الإمام عندهم، وأن هذا الوصي لا بد له من تنصيب إلهي، لأن له دورا أساسيا في فهم الدين وإبلاغه للعالمين، وهم يُعرّفون الإمامة بقولهم: "هي الزعامة في أمور الدين والدنيا، وهي نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حفظ شريعته من الزيادة والنقص، وإقامة الحدود، ودرء الفساد، وهي واجبة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتلايضع أمر الدين"، ويحدد علماء الشيعة مفهوم الإمامة بقولهم: "الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه" ([1]).

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ أمته بإمامة علي بن أبي طالب، وأخذ عليهم العهد والميثاق على مبايعة علي قبل موته بشهرين تقريبا، وبالتحديد يوم ١٨ ذي الحجة عام ١٠ من الهجرة، بعد حجة الوداع وأثناء عودته إلى المدينة عند غدير خم، إلا أن الشيخين أبا بكر وعمر قاما بمؤامرة لمنع علي من الخلافة، وأن الصحابة ارتدوا جميعا عن الإسلام ما عدا ثلاثة فقط، وأن الصحابة نكثوا عهدهم مع النبي حين بايعوا أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وأن أبا بكر وعمر قاما بحذف آيات وسور كاملة من القرآن الكريم لأنها تحض على الإمامة وتعدد فضائلها، حتى أن القرآن الذي نزل من السماء كان يبلغ سبعة عشر ألف آية، ولم يبق منه إلا قرابة الثلث فقط أي ما يزيد قليلا عن ستة آلاف آية هي جملة آيات المصحف المعروف بمصحف عثمان، ويمكن بسهولة نقض هذه المعتقدات بصورة حاسمة كالتالي: إن القول بهذه المؤامرة إساءة إلى الله عز وجل، وإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنها تسيء إلى علي بن أبي طالب إساءة بالغة، وتبين ذلك فيما يلي:

**أولا: إساءة الشيعة في حق الله تعالى:**

ليس من المعقول أن يسمح الحق تبارك وتعالى لأحد أن يفسد ترتيبه لرسالته الخاتمة، وكيف يتأتى أن يمنع نبي أرسله الله من إبلاغ رسالته لقومه، وعلى نفس المستوى لا يعقل أن يحجب إمام عن القيام بمهمة بيان الدين وتوضيح مراميه وأهدافه، وأن تظل الرسالة الخاتمة محرومة من مهمة الإمام منذ وفاة النبي وحتى دخول المهدي إلى السرداب والذي ينتظر أتباعه خروجه إلى اليوم، وما ذنب أجيال الإسلام المتتالية طوال أربعة عشر قرنا حتى يحجب عنها المتمم لهذا الدين، وكيف تقوم لله حجة على المسلمين يوم القيامة والإمام غائب عنها؟ وإذا كان القرآن الكريم يقول لنبيه والله يعصمك من الناس، فكيف لا تمتد العصمة للإمام والذي دوره أهم من دور النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يكتمل وحي الله إلى رسوله، قد يقبل العقل حدوث ذلك مع أي نبي من الأنبياء ومع أي قوم من الأقسام، أما حدوث ذلك الأمر في الرسالة الخاتمة فيستحيل عقلا أن تظل رسالة الإسلام التي تحيا بين الناس وحتى قيام الساعة وهي ناقصة. وإذا كان أبو بكر وعمر حرما عليا من النص الإلهي له بالإمامة، فتلك أكبر إساءة لله عز وجل، فكيف يكون النص الإلهي مع علي، ويمنعه من القيام بمهمته أبو بكر وعمر، أيستطيع بشر أن يوقف مشيئة الله وإرادته خاصة فيما يتعلق بالرسالة الخاتمة. ولماذا مكن الله لنبيه حتى بلغ الرسالة، وتخلّى عن وصيه المكلف ببيانها، ثم كيف يقرب الله تبارك وتعالى أبا بكر وعمر من النبي صلى الله عليه وسلم وفي علمه أنهم سيعطلون وظيفته الإمام، وإذا كانت الأمة قد عاشت أربعة عشر قرنا من الزمان محرومة من وظيفة الإمام، فلا شك أنها وظيفته هامشية لا لزوم لها، لقد حمل أتباع هذا الدين رسالة نبيهم، وفتحوا بها الأمصار وسادوا الدنيا، ولم يوقف مسيرتهم أي أمر احتاج إلى مهمة من مهام الإمامة.

**ثانيا: إساءة الشيعة في حق النبي:**

أما إساءة الشيعة للنبي صلى الله عليه وسلم فمن ناحيتين، الناحية الأولى كون مطالبهم يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فرغبة الشيعة أن يملك آل البيت الممالك تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، الذي رفض أن يكون ملكا نبيا، واختار أن يكون عبدا رسولا، وكان دائما ما يقول أنتم أعلم بأمر دنياكم، ويقول: ما لي وللدنيا، والقارئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يرى بوضوح أن الدنيا لم تشغله طرفة عين، فمن أين جاءت رغبة آل البيت بحسب زعم الشيعة في الحكم وإدارة شؤون الدنيا.

إن الأنصار بايعوا رسول الله على نصرته وحمايته، وقد قبلوا شرط النبي ما لهم عند الله إلا الجنة، واشترط عليهم عدم منازعة الأمر أهله، فكيف يكون موقف الأنصار أرقى من موقف آل البيت، الأنصار لم يطالبوا يوما بالإمارة، ومشكلة الشيعة طلبهم الإمارة لآل البيت والخروج على الحاكم، وشاءت إرادة الله ألا تتجح واحدة من تلك المحاولات عبر التاريخ.

تزكية النبي لتصرف الحسن: وهناك لمحة نبوية لم ينتبه إليها كثير من الناس، فقد كان الحسن والحسين رضوان الله عليهما فرسي رهان، ولهما من المنزلة في عهد الصحابة ما لا يدركها إلا الدارس للسيرة النبوية المطهرة وتاريخ الخلفاء الراشدين، تلك اللوحة حين زكى فيها النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وقال: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ذلك الصلح الذي خلع فيه الحسن نفسه، واتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتنازل عن الإمارة، وهو عكس ما فعله الحسين رضي الله عنه وحارب لتحقيقه أبا كانت أسبابه. فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يريد لآل بيته الدنيا، ولا الملك ولا الخلافة ولا السلطان، ولما عرضت عليه الدنيا رفضها بزخارفها، وحين خيره جبريل بين أن يجعل له جبال مكة ذهابا، قال: بل أجوع يوما فأصبر

الله وأشبع يوماً فأحمد الله. إن الشيعة تحرم أبناء الحسن من الإمامة وتحصرها في أبناء الحسين، لأن الحسن عندهم مسود وجوه المؤمنين يوم أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين.

ومن ناحية ثانية: اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالتقصير في حق تولية علي من بعده.

١. إنهم يقولون لك إن النبي أبلغ الناس يوم غدِير خَم، ونحن نقول أما كان الأجدَر أن يعلن هذه الرغبة في تولية عليا قبل ثمانية أيام فقط وهو يخطب يوم عرفة يوم الحج الأكبر، حتى ترسخ في عقول ووجدان المسلمين جميعاً، المنة ألف صحابي الذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أن الخليفة علياً بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وشتان بين بيان يعلن يوم الحج الأكبر، وبين آخر يعلن بين العائدين إلى المدينة من الحجاج، كأن الأمر لا يخص الأمة كلها، بل يخص أهل المدينة فقط.

٢. إذا قصر النبي صلى الله عليه وسلم في القيام بأي واجب من واجبات النبوة، يخاطبه ربه قائلاً: يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس. فكيف يستساغ لذوي الأبواب أن يظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في تثبيت الإمامة، ونحن نرى عبر الزمان الملوك والحكام يمهدون الحكم لأبنائهم من بعدهم، ولا يستطيع الرسول أن يمكن لعلي.

٣. يقول الله تبارك وتعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ] [الأحزاب- ٤٠]، شاعت إرادة الله تبارك وتعالى أن يموت أبناء النبي الذكور في حياته، ولو كانت فكرة الإمامة مطلب إلهي، فلماذا يكون اللجوء إلى أبناء البنات، طالما الأبناء موجودون؟ أما كان أبناء النبي صلى الله عليه وسلم الذكور أولى الناس بهذا التعيين الإلهي، تحقيقاً لفكرة الوصاية على الدين، وبالتالي تنتفي فكرة الوصاية؛ لأن مراد الله تعالى ومشيئته أن لا يعمر أبناء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، إن هذه الآية محكمة واضحة في أن الله لم يجعل أبناء النبي ملوكاً من بعده، فكيف تزعم الشيعة أن أحفاده أبناء بنت النبي صلى الله عليه وسلم هم الحكام من بعده.

٤. إن أكبر دليل على بطلان مزاعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر بالصلاة أثناء مرضه، وكان يمكنه في فترات صحوه من مرض الموت أن يخطب الناس، ويعلن خلافة علي له، ويأمره أن يصلي بالناس، وما كان لأبي بكر ولا عمر أن يخالفوا أمره صلى الله عليه وسلم في وضح النهار.

٥. وأول من هذا الأمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب أن يمرض في بيت عائشة، وبذلك مكن لأبي بكر، فهو دائماً مع النبي في بيت ابنته، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يمكن لعلي لطلب النبي صلى الله عليه وسلم أن يمرض في بيت فاطمة، وكان البيتان متواجهين على حوخة تنتهي بباب في المسجد كان يخرج منه النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة.

٦. لقد حُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكاً نبياً، أو عبداً رسولاً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً، وهو بذلك يقدم الآخرة على الدنيا، ولو اختار أن يكون ملكاً نبياً، لأصبح لورثته الحق في طلب الملك، أما طلب السلطان من ورثته، فيعد مخالفاً لاختياره صلى الله عليه وسلم.

٧. لو صححت مزاعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهناك دليل دامغ على بطلان هذا الزعم، ولن نقول تكليفه لأبي بكر رضي الله عنه بإمامة المسلمين في مرضه الأخير، وإنما في اختياره للموضع الذي يموت فيه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يموت إلا بعد أن يخير، ولما نزلت سورة النصر أيقن النبي صلى الله عليه وسلم بقرب الأجل، ولما دارس جبريل معه القرآن الكريم مرتين في شهر رمضان، أدرك قرب وفاته، قبل حدوثها بعد أربعة أشهر تقريباً، فلم لم يختر - وعلى الملأ - أن يمرض في بيت فاطمة الزهراء ابنته وقرّة عينه، ولو فعل ذلك لتولى بنو هاشم زمام الأمور كلها، ولزاره أصحابه في بيت فاطمة، ولسمعوا وصيته لعلي بن أبي طالب بين بني هاشم، ولاجتمع عندئذ بنو هاشم على قلب رجل واحد خلف علي، ولما تمكن الشيخان من اغتصاب الخلافة من الوصي.

التحاكم وليس الحكم

لآل البيت مهمة اختارهم الله لها، وهي مهمة القضاء والتحاكم إليهم، وهو ميراثهم من علي بن أبي طالب، إلا أن الشيعة صرفتهم عنها للمطالبة بالحكم، فضاع على المسلمين خير كثير، وإذا ما ابتعدنا عن الغلو في شأن الأفراد، فإن فكرة تولي أبناء النبي صلى الله عليه وسلم إمامة الأمة إلى يوم الدين، غير صائبة من الناحية العملية؛ لأن أخطاء أي إمام منهم سببها الناس - خاصة العوام منهم - إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون هذا ابن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كذا وكذا، وهذه كارثة، فما بالك إذا هُزم إمام في معركة؟ أو نال منه العدو في ميدان من الميادين؟ سيلحق الناس كل ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم. وهي فكرة غير عملية، فكل من سيتولى الحكم سيصدر له المشايخ وثيقة أنه من الأشراف، وبالتالي سيختلط الحابل بالنابل، وستلقى نتائج أحكام هؤلاء جميعا على كاهل النبي صلى الله عليه وسلم

١. إن إدارة الأمم اليوم تحتاج إلى دراسات متخصصة في مجالات شتى، واتخاذ القرار لا بد أن يسبقه دراسة بدائل متعددة، مما يجعل الحاكم يختلف عن العالم الشرعي، فالأدوات مختلفة، الحاكم يبتكر والعالم يتبع، ودور العالم أخطر من دور الحاكم، إن الزعم بالإمامة التي يطالب بها الشيعة آل البيت هي دعوة إلى التخلي عن المنزلة الأسمى إلى المنزلة الدنيا، أي التنازل عن مرتبة العلم إلى مرتبة الحكم؟
٢. فإذا ألحق ملك من الملوك ولي عهده بدراسات متقدمة في دول أخرى، لتلحق أمته بركب التقدم، فهل نبعت أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تلك المعامل العلمية لينالوا الدكتوراة في علم الإدارة، أم نجح عنهم تلك المعارف، وكيف يديرون أمهم دون أن يحصلوا أسباب تسخير الدنيا؟
٣. لكل صحابي فضيلة تميزه عن غيره، وتميز علي بن أبي طالب كان في القضاء، وقول النبي محفوظ ومشهور: أفضاكم علي، أليس في هذا توجيه نبوي لمهمة علي وأبنائه من بعده أن تصير إليهم مسئولية فض النزاع بين المسلمين، وهذه مهمة ضاعت يوم انصرف إليهم إلى الحكم والإمارة، ولو أن آل البيت أعلنوا صريحة مدوية أنهم لا يريدون الحكم كجدهم، ولا يرغبون فيه، لآلت إليهم مهمة التحاكم وفض النزاعات بين المسلمين، فالمتنازعين جميعا يحيون آل البيت، وآل البيت لا رغبة لهم في الدنيا ولن ينازعوا أهلها عليها، حينئذ سيجد المسلمون هيئة مستقلة تحسم الخلافات بينهم، فلا يجد الشقاق إلى المسلمين سبيلا. فانظر إلى أين أخذتنا فكرة الإمامة وطلب الحكم عند الشيعة، إنها أفقدتنا مهمة التحاكم وفض النزاعات، من خلال هيئة تلم شمل المسلمين، وترد الشارد منها. وكان من الممكن أن تتسع مهمة التحاكم لتصل إلى مستوى مراجعة الحكام في مظالمهم أو دعواهم للتفرق وتمزيق الأمة.
٤. إذا كان الحاكم من أبناء النبي فمن يستطيع أن يخالفه أو يشير عليه برأي من الآراء، إن الأمة ستلم أمرها لله تعالى، فمسيرها بين يدي أبناء نبيها، حتى الشورى ستتعطل، إننا نرى حكمانا اليوم وليست لهم قرابة ولا نسب بالنبي يفعلون ما بدا لهم، فكيف بالله يكون حال الأمة، وقد انضم إلى شرف الحكام ومنزلتهم قرابة بالنبي صلى الله عليه وسلم

#### ثالثا: إساءة الشيعة في حق علي:

إن اتهام الشيعة لعلي أو لا بالتقاعس عن المهمة الربانية التي كلفه الله بها، هو إتهام خطير، ثم بالخضوع والخنوع للمغتصب دون أن يجاهده في سبيل القيام بمهام الإمام، وهو الشجاع المقدم الجرار، صاحب السيف البتار.

والإتهام الثاني: أنه رضي بالدني وقبوله أن يجلس غيره في المجلس المعد له، لإقامة أمر الإمامة، فعاش ستة وعشرين سنة أو يزيد، وهو تارك لتكليف الله ورسوله له بالإمامة،

ويدافع الشيعة أن عليا كان يحرض على عدم إراقة الدماء، والأمر لن يحتاج إلا أن يبارز عمر بن الخطاب، فيقتله ويدفع دية لبيبي عدي، أو يبارز عثمان بن عفان، فيقتله ويدفع دية لبيبي أمية، فيجتمع العرب تحت لواء بني هاشم، ويتولى علي الخلافة، فإذا خطب فيهم عليا وهو الخطيب البليغ المفوه، وذكرهم بعهد الله ورسوله، لعادوا إلى صوابهم وطالبوه أن يبسط يده بالبيعة، وربما وقفت الأنصار إلى جانبه فحسم الأمر من ساعته، ولكننا نجد عليا قبل بالأمر الواقع، ورضي بأن يتنحى عن التكليف الرباني له، ولم يحاول تغيير هذا المنكر الشديد لا بيده ولا بلسانه، واكتفى بالإنكار بقلبه، وهذا أضعف الإيمان، وحتى الإنكار بقلبه لم يقم عليه دليل إلا فيما تزعمه الشيعة من مزاعم.

إن السير وراء اليهود في اعتقادهم بالوصي بعد النبي صلى الله عليه وسلم، قد أوصل الشيعة إلى الإساءة لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وللإمام نفسه، كما أوضحنا سالفا، فماذا بعد الحق إلى الضلال المبين.